العرب
الأربعاء 2020/12/30
السنة 43 العدد 11926

مرحلة مفصلية في التاريخ: إما انهيار النظام العالمي وإما ميلاد عصر جديد

أحداث عام 2020 ستولد من رحمها تحوّلات سياسية تغيّر وجه العالم

يدخل العالم عام 2021 مثقلا بأزمات وتحديات، حيث تتوزع بؤر النزاع وتُفاقم الانقسامات جراحه في دول عدّة، ويأمل الكثيرون أن يحمل العام الجديد فرصا للخروج من نفق الصراعات الطويل، بينما تتحدّث مؤشرات عن تغيّرات سياسية من شأنها أن تستبدل وجه العالم، بسبب تداعيات الصدمات الاستراتيجية والأزمات الشديدة التي شهدها العام الجاري على مستقبل النظام الدولي.

الأزمات الشديدة يمكن أن تدفع نحو الدمار أو التجديد

واشنطن - كان عام 2020، بكل المقاييس عاما مروعا، حيث انتشرت خلاله حالات الموت والاضطراب في جميع أنحاء العالم. ويؤكد المتابعون أن أحداث العام الذي يشارف على الانتهاء ستلد من رحمه تحوّلات من شأنها أن تغيّر وجه العالم، حيث سيشهد التاريخ مرحلة مفصلية إمّا انهيار النظام العالمي، وإمّا ميلاد عصر جديد.

ولكن إذا كانت تداعيات هذا العام تمثل تحديا حقيقيا لا يمكن إنكاره في الوقت الحالي، فكيف يبدو للمؤرخين إذا نظروا إلى الوراء على مدى نصف قرن من الآن؟

قال هال براندز الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ييل الأميركية في تقرير نشرته وكالة بلومبيرغ للأنباء "سوف نتذكر الحرب العالمية الثانية على نحو مختلف كثيرا". على سبيل المثال، لو انسحبت الولايات المتحدة ببساطة من العالم وانكفأت على نفسها بعد انتهاء ذلك الصراع، بدلا من المشاركة على نحو دؤوب بلا كلل لتشكيل النظام العالمي في فترة ما بعد الحرب لكان العالم مختلفا عمّا هو عليه اليوم.

ومع ذلك، فمن المؤكد أن أحداث عام 2020 سوف تلقي بظلالها على الجهود المستقبلية لتتبع مسار أحداث القرن الحادي والعشرين، الذي ربما يكون العام الذي يبدأ فيه النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة ينهار، أو ربما يكون العام الذي سيشهد بعث حياة جديدة.

صدمات استراتيجية

من السهل تخيّل الطريقة التي سوف ينظر بها المؤرخون في يوم ما لعام 2020 على أنه بمثابة بداية لعصر مظلم جديد. ففي غضون بضعة أشهر، تسببت صدمات استراتيجية تحدث مرة كل قرن، في ترنح العالم على مساره.

وأودت جائحة عالمية بحياة الملايين وأصابت بالجمود مجتمعات في عدة قارات، وشهد العالم انهيارا قويا للعولمة من خلال إغلاق الحدود وتوقف السفر فعليا، بينما عجزت الهيئات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية ومجموعة الدول الصناعية السبع الكبرى، عن تقديم الكفاءة التكنوقراطية وتحقيق التعاون العالمي.

وعلى الجبهة الجيوسياسية، شنت الصين، الدولة الرائدة في الاستبداد بالعالم، هجوما على عدة جبهات ما يثبت أنها لم تعد قنوعة بإخفاء قدراتها وتتربص لاقتناص الفرص تحقيقا للمكاسب، كما أوصى بذلك الرئيس الصيني دنج شياو بينج في الفترة من 1978 وحتى 1992.

إضافة إلى ذلك، فإن ما جعل عام 2020 صادما بشدة هو أنه جاء عقب عقد مؤلم للغاية، حيث تراجعت الديمقراطية عن موقع صدارة مشهد حقبة ما بعد الحرب الباردة، وشهدت تراجعا في عدة أماكن.

وبيّن براندز أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وارتفاع الشعبوية شكلا تهديدا للتكامل الأوروبي، وهو أحد المحاولات البارزة في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

كما واجهت العولمة رياحا عاتية في المشهدين السياسي والجيوسياسي، حيث أصاب الجمود منظمة التجارة العالمية، وزاد صعود الصين الاقتصادي الأمر سوءا على نحو ينذر بالمزيد من الشؤم، وأصبحت الولايات المتحدة مؤيدة على نحو يكتنفه الغموض للتجارة الحرة.

ومن هذا المنظور، فإن الصدمات التي تسبب فيها عام 2020 لم تكن مجرد أحداث غير متوقعة. كانت أزمات كشفت عن انتشار العفن داخل المؤسسات والترتيبات التي أسست النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة.

إن حقبة سبعينات القرن الماضي، على سبيل المثال، بدت في الكثير من الأحيان وكأنها نهاية المطاف بالنسبة إلى القوة الأميركية واقتصاد العالم الحر، وسط صدمات النفط، ونهاية نظام بريتون وودز المالي، وانتكاسات جيوسياسية كانت بمثابة عقاب. ومع ذلك، فقد أدّت الأزمات إلى الارتقاء وليس إلى السقوط.

وشنت الولايات المتحدة بسرعة هجوما جيوسياسيا مضادا مدمرا ضد الاتحاد السوفييتي الذي كان متمددا على نحو مفرط، وتعاونت مع الحلفاء الرئيسيين لإنشاء مؤسسات جديدة (مثل مجموعة السبع) لتسهيل التحول إلى نظام أكثر عولمة، وتبنت الدول عبر الغرب إصلاحات مؤيدة للسوق أدّت إلى ازدهار متجدد.

وكان هذا العام بعد كل شيء، هو العام الذي قام فيه النظام السياسي الأميركي بتصحيح نفسه بعد مغازلة خطيرة مع الشعبوية شبه الاستبدادية لتيار اليمين، بينما رفض أيضا شعبوية اليسار التي تزعزع الاستقرار.

عاصفة الوباء

شهد هذا العام جهودا، بقيادة الحلفاء الأميركيين، لبدء إصلاح المنظمات الدولية المحتضرة ووضع آليات جديدة – مثل توسيع مجموعة السبع – من أجل تحقيق تعاون ديمقراطي أعمق وعلى أوسع نطاقا.

وظهر أيضا حذر جديد من القوة الصينية، ليس في الولايات المتحدة فحسب، ولكن في أوروبا والديمقراطيات المتقدمة الأخرى أيضا، ولم تنته حقبة ترامب فقط بقطيعة عبر المحيط الأطلسي بسبب الصين، ولكن بمناقشات أولية تتعلق بكيفية التعاون بشكل وثيق لمواجهة التهديد الذي تشكله بكين.

كما أدّى وباء فايروس كوفيد – 19، إلى تسريع وتيرة الجهود للتحول إلى نمط أكثر ذكاء للعولمة من منظور جيوسياسي، وهو نمط لا تسعى فيه الدول الديمقراطية إلى إعادة

عمليات الإنتاج التي كانت قد نقلتها خارج أراضيها، ولكن ببساطة إلى إخراج سلاسل الإمداد الهامة من الأنظمة الاستبدادية المعادية المحتملة.

وحسب رأي براندز "لا يمكننا حتى الآن معرفة المسار الذي سيتخذه العالم بالفعل. والتاريخ يتضمن احتمالات مختلفة؛ حيث كان من الممكن أن يؤدي تغيير نحو 45 ألف صوت في أربع ولايات إلى إعادة انتخاب دونالد ترامب، ما سيدفع بالديمقراطية الأميركية والسياسة الخارجية إلى مسار مختلف تماما عن المسار الذي ربما سيسيران فيه إبان عهد الرئيس المنتخب جو بايدن".

وسواء كان خيرا أو شرا، سننظر إلى عام 2020 باعتباره مرحلة مفصلية في التاريخ، فهو العام الذي أرسل موجات صادمة من خلال النظام القائم وبالتالي غيّر شكل العالم على المدى الطويل. وهذه الأزمات الشديدة يمكن أن تدفع بالنظام العالمي إمّا إلى الدمار وإمّا نحو التجديد، لكنها بالكاد يمكن أن تفشل في ترك بصمة دائمة.

ويقول الكاتب والمحلل الأميركي آلان كروفورد في تقرير نشرته وكالة بلومبيرغ للأنباء إنه في عام هيمنت عليه جائحة كورونا، واجهت الحكومات أزمة صحية، وأزمة اقتصادية وأزمة شرعية مؤسساتية، كل ذلك في وقت يشهد تنافسا سياسيا جغرافيا. وسوف تساعد كيفية تبلور كل تلك التحولات الضخمة خلال الأشهر المتبقية من العام كثيرا في تحديد عصر ما بعد الفايروس. فقد تكثفت وتسارعت الاتجاهات التي كانت واضحة بالفعل قبل ظهور الوباء.

فالصين باعتبارها قوة في حالة تصاعد سريع، أصبحت أكثر قوة وتنافسا مع الدول ابتداء من كندا حتى أستراليا. والولايات المتحدة، القوة العظمى التي ما زالت على قمة الطاولة منذ مؤتمر بوتسدام، أصبحت منغلقة على نفسها بصورة متزايدة مع تغلغل الفايروس في قلب سكانها واقتصادها قبل الانتخابات الرئاسية في نوفمبر المقبل.

وأشار روري ميدكاف رئيس كلية الأمن القومي بالجامعة الوطنية الأسترالية إلى "أن كثيرا من المشكلات الهيكلية في النظام الدولي أصبحت واضحة بجلاء".

وأضاف أنه في ظل التقاء نقاط ضغط متعددة، ابتداء من فشل القيادات إلى الافتقار للثقة في صحة المعلومات، "كل ذلك يفاقم ما يعدّ عاصفة هوجاء... والاختبار الكبير يتمثل حقيقة في ما إذا كان بوسعنا أن نقضي الأشهر بين الستة والثمانية عشر المقبلة دون أن تبلغ هذه الأزمات ذروتها".

ويرى ديمتري سايمز، الرئيس والمدير التنفيذي لمركز "ناشيونال أنتريست" الأميركية، أن العالم الحديث يشهد لأول مرة في تاريخه "عاصفة مثالية"؛ حيث ساهم فايروس معدٍ وميت للغاية، وكساد اقتصادي عالمي يلوح في الأفق، وانهيار الحوكمة العالمية، وغياب أي رد فعل دولي فعال ومنسق، في مأساة غير مسبوقة... مأساة لن يكون من السهل التغلب عليها.

ورغم أن الحجر الصحي والعزل الانفرادي ساعدا في تخفيف حدة الأزمة، يعتقد قليلون أن هذه الإجراءات وحدها يمكن أن تحسمها، ناهيك عن توفير خارطة طريق للمستقبل.

آلان كروفورد

الحكومات تواجه أزمة صحية وأزمة اقتصادية وأزمة مؤسساتية

هال براندز

لا يمكننا حتى الآن معرفة المسار الذي سيتخذه العالم بالفعل

وفي تحليل نشرته مجلة "ناشيونال أنتريست"، يؤكد سايمز أن لا أحد يعرف حتى الآن كيف ستنتهي هذه العاصفة، بخلاف التأكيد الافتراضي بأن العالم سوف ينجو منها في نهاية المطاف.

وفي حقيقة الأمر، سوف يظهر في النهاية علاج للمرض من خلال الجمع بين بعض اللقاحات، ووسائل العلاج المحسنة، والتباعد الاجتماعي، وكذلك آليات جديدة للتجارة الدولية.

ومن الصعب، بل من المستحيل، التكهن بالتحديد متى يحدث ذلك، وكيف؟ لكن من الواضح أنه يجب وقف الخلافات السياسية الطاحنة التي تستنفد على سبيل المثال جهد الولايات المتحدة وتصرفها عن الاهتمام بتهديدات خطيرة.

ويرى سايمز أن هناك درسا واحدا يتعين أن نتعلمه من هذه الأزمة، وهو أولوية الدول ذات السيادة. وفكرة أن السيادة أمر قد عفا عليه الزمن، هي نفسها فكرة عفا عليها الزمن. فمن الواضح تماما أن الوباء يشجع الحكومات على التركيز على مصالحها الوطنية أولا. وعلى هذا الأساس فقط يمكنها أن تسعى إلى المشاركة في أي تعاون دولي.

وعلى أية حال، يتعين على حكومات الدول الكبرى الاعتراف بمسؤوليتها الجماعية عن الإخفاق في تحديد الأولويات العالمية، حيث إنها، بدلا من ذلك، اتخذت خطوات افتقدت للحكمة، وصرفت الاهتمام عن قضايا هي محلّ قلق كبير لصالح أخرى غير أساسية. كما أن من الأمور التي لا مبرر لها قيامها تقريبا بتدمير النظام الدولي الذي يهدف إلى خلق، وفرض، آلية للتجارة الدولية قائمة على أساس قواعد، وإضفاء الدول الطابع المسلح على التجارة العالمية لتعزيز مصالحها الفردية، أو قيمها الذاتية أو طموحاتها السياسية الداخلية. ولا تمثل المؤسسات، مثل الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية، ومنظمة الصحة العالمية علاجا ناجعا لكل مشاكل العالم.

الوباء يعيد لثورة الغرافيتي مجدها في الطرقات

نيويورك - لطالما كان فن الغرافيتي جزءا من تاريخ نيويورك منذ أكثر من 50 عاما، غير أنه صار في ظلّ تفشي الوباء ينتشر في المدينة أكثر من أيّ وقت مضى، في ما يراه البعض مؤشّرا على الانحطاط وينظر إليه آخرون على أنه سمة من سمات الحيوية.

عند حلول الليل، يلقي رسّام الغرافيتي ساينوسليب نظرة سريعة على محيط متجر للسلع الفاخرة أغلق بعد تعرّضه للنهب على هامش التظاهرات التي اندلعت على خلفية مقتل جورج فلويد.

ويقول الفنان الأربعيني الذي يسترزق من فنّه لكن تحت اسم مستعار "لم نشهد أبدا فترة كهذه".

وتشكّل واجهات المئات من المتاجر التي أغلقت أبوابها نهائيا جرّاء تداعيات الوباء الاقتصادية "دعوة" إلى الفنّانين، على حدّ قول ماري فلاجول القيّمة على متحف فنون الشارع في نيويورك (موسا). والأمر نفسه ينطبق على الجدران والشوارع والأرصفة التي تمثّل كلّها ركائز لهذه الرسوم، وصولا إلى عربات قطار الأنفاق التي طليت 34 منها منذ مطلع ديسمبر. ويقول ساينوسليب "إنها نهضة الغرافيتي".

وقد انتقلت الرسوم الجدارية من الشارع إلى صالات العرض اعتبارا من ثمانينات القرن الماضي وشهدت انتشارا واسعا في مطلع الألفية في سياق فنون الشارع التي لم تعد في أغلب الأحيان تقتصر على مخالفات قانونية وباتت تزدهر في أماكن مرخّص لها.

لكن منذ مارس، بدأت تنتشر هذه الرسوم الجدارية التي كانت مضبوطة حتّى فترة حديثة بشكل عشوائي في نيويورك.

ويقول ساينوسليب إن "الناس يريدون الإعراب عما يختلج في صدورهم"، مشيرا إلى أنه رأى أشخاصا في السبعينات من العمر يمارسون هذا النشاط، "فقد استولى عليهم الملل ويريدون ما يشغلهم".

وقد أدّى تنامي حركة "بلاك لايفز ماتر" (حياة السود مهمّة) دورا في ازدهار الغرافيتي، مع كتابة شعاراتها ومطالبها على الجدران.

وفي مدينة لم تعد شوارعها تنبض بالحياة وغابت عنها مظاهر الحياة الاجتماعية، يشكّل الغرافيتي "وسيلة للتأكيد على الوجود في ظلّ الانطباع السائد بأن نيويورك قد ماتت"، بحسب قول فلاجول.

غير أن هذا الزخم الإبداعي لا يلقى استحسان الجميع. ففي يوليو، انتقد حاكم ولاية نيويورك أندرو كوومو ما وصفه بتقاعس رئيس بلدية المدينة بيل دي بلازيو، معتبرا أنه "مؤشّر إضافي على تدهور" ظروف العيش في نيويورك في ظلّ ارتفاع الجرائم وعمليات إطلاق النار.

وما زاد من حدّة الانتقادات تعليق برنامج "غرافيتي – فري نيويورك سيتي" الذي سمح بتنظيف نحو 15 ألف موقع في 2019، لأسباب مالية في مارس.

وتقول دارسي ويبير التي انتقلت مؤخرا للعيش في نيويورك "إنها حقا قذرة. يقول البعض إنه فنّ، لكن هل هو مجاز؟ لا، لذا، هي أعمال تخريب".

ويرى البعض أن الغرافيتي يعود بالذاكرة إلى السبعينات والثمانينات من القرن الماضي عندما كانت المدينة تئن تحت وطأة الجرائم والصعوبات المالية.

ويلفت ساينوسليب إلى "العدد المتدني لرجال الشرطة في الشوارع".

وتؤكّد شرطة نيويورك من جهتها في تصريحات صحافية أنها "تدرك ضرورة التعامل مع الجنح المتعلّقة برسوم الغرافيتي"، مع الإشارة إلى أن عدد الحوادث المرتبط بهذه الممارسات قد انخفض بنسبة 17 في المئة مقارنة بالعام الماضي.

لا خطوط حمراء مع فن الغرافيتي

ونفس الشيء في هيئة المواصلات في نيويورك (أم تي إيه) حيث كشفت الإدارة عن تراجع في الحوادث ذات الصلة بنسبة 35 في المئة.

ويقول ساينوسليب "منذ بداية الحجر الصحي، رصدتني الشرطة عدة مرّات، لكن لم يوقفني أحد".

> **تنامي حركة «بلاك لايفز ماتر» (حياة السود مهمّة) أدّى دورا في ازدهار الغرافيتي، مع كتابة شعاراتها ومطالبها على الجدران**

وفي تسجيل مصوّر نشر في مطلع نوفمبر، قال إريك آدمز رئيس بروكلين إنها ممارسات "تشوّه حيّنا وتكلّف أصحاب العقارات الآلاف من الدولارات لإزالتها". ويلفت كين لوفيت مستشار المدير التنفيذي في هيئة المواصلات إلى أن الغرافيتي يستنزف موارد قيّمة "في وقت تواجه فيه الهيئة أسوأ أزمة مالية في تاريخها".

ويقول برايس غراهام الذي يقطن حيّ تشيلسي "كنت لأستغرب الأمر في مدينة أخرى، مثل أوتاوا في كندا حيث تعمّ النظافة، لكن ليس في نيويورك".